الاساطير البيزنطية وتاريخ الكنيسة والقديسين والروح القدس وتاريخ بيزنطة وامارات روسية القديمة . وهكذا اصبح مختلفاً جداً عن الطغاة الافظاظ الذين حكموا الكريملين بعد أن تثقف بالقوانين والتقاليد والسياسة والتاريخ . ولا يشك اليوم احد بقدرته على الفهم التي عوض بها موت ابيه وامه وحرمانه من الامجاد التي انكروها عليه ، وبنى من نفسه اداة غير مرئية اعدها لحكم روسيا التي كانت مملكته وملك يديه .

وعلى الرغم من اننا وصفناه بالبرودة فإن علينا ان نشهد امام الحقيقة بانه كان يكن تقديراً كبيراً لذكرى ابيه وامه . فقد كان يعتقد في خياله ان فاسيلي الثالث كان يشغل عرشاً أعلى بكثير من العرش الذي جلس عليه هذا العجوز الطيب ، هذا العرش كان عرشاً من القداسة وكل ما يراه فاسيلي وهيلانة كان يستحق في نظره التقديس . كان هذا الفتى يكتنز افكار ابويه وذكرياتهما كما يكتنز بخيل ذهبه ويذهب كل ليلة لزيارته وعده والتاكد من ان اي شيء لم يختف منه . فلو انهما عاشا لانتقما له من كل ماتعرض له من إهانات . وقد نما هذا الشعور الشخصي وكبر حتى اصبح شعوراً ملكياً بل وحتى اصبح جزءاً من الإله نفسه الذي يقف امامه وحده كل ملوك الارض ليكونوا مسؤولين عما اقترفوه من اعمال .

واتى سن الرشد وإن كانت هذه الكلمة لاتنطبق بالضرورة على الجنس . إنها تعني الثقة التي بعثت في ذهن إيڤان انه يمتلك وراءه القوة الإلهية وانه يكفيه ان يرفع يده اليمنى ليضرب الامير اندريه شويسكي ضربة الموت . وهكذا فإنه بعد ثلاثة اشهر فقط من الهجوم الذي وقع على فيدور فيرونتسيف اعطى امره الى زمرة من الشباب المكلفين برعاية ثلابه بان يلقوا القبض على الامير ففاجؤوا شويسكي المتعجرف واوسعوه ضرباً مبرحاً وامسكوا بخناقه وهم يجرونه إلى السجن . لقد نالوا موافقة إيڤان ولن يتجرأ احد على أن ينهض في وجه هذا العمل . وصمتت موسكو كما لو ان رؤيا رهيبة بدت في السماء فقد بدأ حكم إيڤان .